نصائح و وصايا لطالب العلم

الشيخ مشهور بن حسن آل سلمان حفظه الله

محاضرة ألقيت في ختام الدورة الثانية والعشرون

في جمعية مركز الإمام الألباني رحمه الله.

الخميس (٢٠/ ٨/ ٢٠٢٠ م)

إن الحمدلله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له و أشهدأن لا إله إلا الله وحده لا شريك له و أشهد أن محمداً عبده و رسوله أما بعد:

فأشكر إخواني القائمين على مركز شيخنا الإمام الألباني رحمه الله تعالى الرحمات إلى يوم الدين على هذه الدورة، و أكرر مع أخي أبي أنس الشكر لإخواني المشايخ الذين شاركوا في هذه الدورة، وأسأل الله رب العرش العظيم أن يجعل هذا المركز و هذا المنهج قائمين إلى يوم الدين، وهذه بشارة من النصوص الشرعية و من السنن الكونية التي أخبرنا عنها ربنا و نبينا صلى الله عليه و سلم بأن من اتبع السنة فإن الله جل في علاه يرفع ذكره ، و إن من تنكب لها و ابتعد عنها فهو الأبتر ،و الأبتر لا قيام له ، و هذه سنة ماضية لا تتخلف إلى يوم الدين.

انظروا مثلاً إلى أبي ابن أبي دؤاد و ابن برغوث ممن ناوؤو الإمام أحمد أين هم؟ و من يعرف عنهم؟ و من يسمع بأسمائهم؟

و انظروا إلى الإمام أحمد بن حنبل، فتجدون فرقاً كبيراً، و الله جل في علاه سبحانه و تعالى وضع النصرة و التمكين لدينه و لمن اتبع سنة نبيه صلى الله عليه و سلم.

و أقول مستعيراً من الإمام الذهبي في سير أعلام النبلاء في ترجمة إمام دار الهجرة – الإمام مالك ابن أنس – رحمه الله، قال عنه: (له هيبة، و هيبته تعدت إلى كتابه الموطأ).

و لشيخنا الألباني رحمه الله هيبة و هيبته كبيرة و هيبته تعدت إلى هذه الدورات التي تعلم الناس التوحيد الصحيح السليم، و السنة النبوية دون تعصب لقول إمام من الأئمة، و جعل الكتاب و السنة حكماً على كل قول و على كل فعل.

كلامي معكم أيها الإخوة الأحبة و أيتها الأخوات الفاضلات نصائح و كلام أرجوا الله تعالى أن يندرج تحت قول الله عز وجل : ((وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ)) سورة العصر الآية (٣).

أبدأ كلامي بنصيحة لشيخنا الألباني رحمه الله تعالى كان يكررها على مسامعنا و يرددها كثيراً، و ما أجدر أن تردد في هذه الأوقات، كان يقول تحت عنوان عام : (المسائل الكبار لا يتكلم فيها إلا الكبار).

اليوم الأمة تخوض أحداثاً ليس لها سابق و أحداث خطيرة و على مفترق طرق ، فلا تتعجل يا طالب العلم فتُرد ، فتتكلم بردة فعل دون تأمل و دون تأنٍ و دون إتباع إمام من الأئمة، إعجاب كل ذي رأي برأيه اليوم كثير نسأل الله العافية ، و ثبت عند أحمد في المسند (إذا رأيت هوى متبعا وشحا مطاعا و إعجاب كل ذي رأي برأيه فدع عنك أمر العامة و عليك بخاصة نفسك).

خاصة النفس تختلف من شخص لشخص، فمن وفق للتعليم و التدريس فخاصته تلاميذه ، و لا يقال خاصة نفسه أنه يريد فقط هو ، و لكن المراد أن إعجاب كل ذي رأي برأيه له إرهاصات و لا سيما هذه الوسائل -و سائل التواصل- كلما أراد الإنسان المعتصم بتقريرات العلماء و المعتصم بالكتاب و السنة لأن الكتاب و السنة وما فيهما ليس صالحاً فقط لكل زمان و مكان، و إنما هما المصلحان لكل زمان و مكان، كلما ترسم ما جاء في الكتاب و السنة ثم ترك أمرا شاغراً عنده لوسائل التواصل يأتيه الكدر و تأتيه الضربة التي ربما لا يصحوا

عليها ، و تراه يترك الواجب الذي أوجبه الله تعالى من نشر التوحيد و السنة و تعليم الناس أمر الدين إلى الخوض في قيل و قال و يتكلم في أباطيل و ترهات و في أشياء لعل الأكمة وراءها ما وراءها .

و أنصح إخواني –و هذه أول نصيحة أقدمها لإخواني و أخواتي الفاضلات – أن لا ينفردوا في المسائل الكبار برأي، و أسهل طريق لمعرفة الحق و الصواب في المسائل الكبار أن تعتصم بأرآء الكبار و أن تسأل عن موقفهم و أن تتعبد الله عز و جل بإلتزام غرزهم و السير على طريقهم و أن لا تستجيب لمن ينفخ في سراب ولسمسار أحزاب ، أو ما هو تحت هذه الشاكلة .

فهذه من الأمور المهمة جداً.

الكلمة التي زورتها و أنا أستشعر أن إخواني في أقطار الدنيا يسمعوني ، حاجة مهمة جداً عليها مدار الخير و مدار الصلاح و مدار الإصلاح وهوالذي دعا إليه نبينا صلى الله عليه وسلم وقد بين الله تعالى لنا بما بُعث و بين لنا مهمتي رسول الله صلى الله عليه وسلم .

و هذه نصيحة أحبها و أحب أن أتواصى مع إخواني و أخواتي بها، لأن مدار الصلاح و مدار الخير كله في هذا الأمر .

و أربط الأمور بأصلها فأقول مستعيناً بالله عز وجل، و ليس لي نصيباً من كيسي، و إنما هو ربط بين كلام الله عز وجل في كتابه وأحاديث النبي صلى الله عليه و سلم و المهمة التي يجب أن تقوم في الأمة، فإن قامت فإن الشر بعيد، و إن غابت فإن الشر قريب، و آخر الزمان نسأل الله العفو و العافية الشر كثير و الخير قليل ، و آفة

الأمة المحمدية أن تتبع الأمم التي قبلها ، و أن يسري إليها ما سرى من أدواء و أغراض و أمراض و أعراض كانت ضاربة في تلك الأمم.

الله عز وجل يقول لنا: ((وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ)).

سورة الشورى الأية (١٤).

ثمرة التفرق ، وهذا للأسف كثير عند طلبة العلم له حسرة وله ثمرة مرة ، و هذه الثمرة المرة الخلوف – خلوف هؤلاء المقدمون المتفرقون– يؤول حالهم إلى أن يكونوا في شك مريب ، إلى أن يدخلهم الشك و أن يزول عنهم اليقين.

العالم الرباني يتعلم ويَكِرُ التفكر على التدبر و يبقى متفكراً متدبراً عاملاً، فبعود التفكر على التدبر مع العمل يحصل الإنسان على اليقين، و اليقين يكون من خلال كتاب الله عز وجل وأحاديث نبيه صلى الله عليه وسلم، خلافاً لتقريرات المتأخرين من المتكلمين، و على رأسهم (الفخر الرازي) الذي زعم و بئس ما زعم أن اليقين لا يمكن أن يتحصل بالكتاب و السنة و أن اليقين لا يكون إلا بالعقل لا بالنقل، و قانونه الكلي و معايبه و تفصيل ذلك في كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في كتاب (درء تعارض العقل والنقل) فصل في فساد و بيان ضلال هذا القانون الكلي الذي على رأسه أننا بحاجة للعقليات و لسنا بحاجة للنقل ، لأن النقل لا يوصل إلى اليقين و هذا أمر خطير.

لكن بتعبير القرآن متى نفقد اليقين؟

إن و قع التفرق.

قال تعالى: ((وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ)).

العلم حافظ .

قال الله عزوجل: ((وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ)).

الآفة أين تكون ؟

قال تعالى: ((وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ)) .

الشك يكون مريباً بسبب هذا التفرق بعد العلم، و التفرق بعد العلم دلالة على أن العلم طُلب لغير الله عز وجل ، فعلامة طالب العلم إن ربط قلبه بالله و اليوم الآخر التواضع ، و كان أيوب السختياني يقول: (ينبغي للعالم أن السكن على رأسه تواضعاً لله عز و جل) و علامة العالم الرباني أن يكون على يقين و أن يجعل طلبته على يقين ، و معنى و جود مقام اليقين في قلب طالب العلم أنه بعيد كل البعد عن الريب و عن الشك ، و الشك و الريب لا يكون فقط مع العلم، وإنما اليقين يتحصل بالعمل، فإن تعلمت و مارست هذا العلم توصلت إلى اليقين ، و أما لو أنك حفظت العلوم و المتون و لم تعمل بالذي علمك الله إياه فإنك بعيد عن اليقين وإنك مشابه للأمم السابقة.

بما بُعث نبيناصلى الله عليه و سلم؟

نبينا صلى الله عليه وسلم بين الله تعالى بما بُعث قبل أن يخلق بل قبل أن يخلق آباءه.

النبي صلى الله عليه و سلم كما ثبت في مستدرك الحاكم قال صلى الله عليه وسلم ((أنا دعوة أبي إبراهيم))، فالمنة العظمى على هذه الأمة أن نبيها دعوة لأبي الأنبياء و هو إبراهيم عليه السلام .

ما معنى قول النبي قال صلى الله عليه وسلم (أنا دعوة أبي إبراهيم) ؟

يريد النبي صلى الله عليه و سلم الدعوة التي ذكرها الله تعالى في كتابه فقال: ((رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)). آل عمران الأية (١٢٩).

استجاب الله تعالى لإبراهيم.

النبوة قبل نبينا محمد صلى الله عليه و سلم كانت محصورة في إسحاق، فاسحاق ويعقوب و الأسباط و الأنبياء موسى و عيسى كانوا كلهم من سلالة إسحاق، و لما بشر عيسى برسول اسمه أحمد كما ذكر الله تعالى كان اليهود والنصارى يستفتحون على العرب بأن النبي منهم، فالله جل في علاه نقل النبوة من سلالة إسحاق إلى إسماعيل، فكان خاتم النبيين محمدا صلى الله عليه و سلم من سلالة إسماعيل ، فرُدت النبوة إلى إسماعيل عليه السلام، و لذا كان محمد صلى الله عليه و سلم استجابة لدعوة إبراهيم.

و المتأمل –وهذه دراسة مغفلة و أدعوا حقيقة لدراستها و تحتاج لدراسة عميقية استقرائية – أدعية إبراهيم و تعقب الله عزوجل لأدعيته منها الصريح و منها الخفي، و من التعقب الخفي هذه الدعوة ، وهذا التعقب موجود في القرآن باستقراء تام .

تأمل معي :

إبراهيم قال: ((رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آَيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)) سورة آل عمران الأية (١٢٩) استجاب الله هذا الدعاء، و ذكر الله تعالى ابتداءً من غير هذا الدعاء المنة في بعثته لمحمدصلى الله عليه و سلم في مواطن كثيرة ، في سورة آل عمران و في الصف ، والله جل في علاه في كل المواطن قدم التزكية على العلم، و إبراهيم عليه السلام دعا بتقديم العلم على التزكية، فالأمة إن اقتصرت على العلم دون التزكية تفرقت لقول الله : ((وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ)) جاء العلم وقعت الفرقة، و النتيجة الفرقة – يآ أيها السلفيون، يا طلبة العلم ، يا من تنتسبون للمشايخ الكبار من هذه الدعوة المباركة، يا من تنتسبون لشيخنا الألباني، يا من تنتسبون للشيخ ابن باز، يا من تنتسبون للشيخ ابن عثيمين، رحمهم الله تعالى جميعا أنكم بعلمكم دون العناية بتزكية أنفسكم تتفرقون و لا تجتمعون– و للأسف بوادر هذا الأمر حاصل، و النتيجة في المآل تلاميذكم أوتلاميذ تلاميذهم أو من بعدهم كما قال الله عزوجل : ((وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ)) يقعون في شك، فإن وقع الشك زال اليقين، فإن زال اليقين –أصبحنا–و العياذ بالله تعالى في فوضى، و هذه الفوضى لا يمكن ضبطها ، خصوصاً مع التربص و التصيد لثوابت الإسلام و ثوابت المعتقد و الثوابت التي تعلمنها من مشايخنا الكبار، كانوا إذا إجتمعوا فوقع خلاف يقولون نتفرق وما طال الإجتماع إلا من أجل الشيطان، يغلقون كل الأبواب، حتى لا يقع الناس في شك .

و بالتالي إخواني ينبغي أن نتذكر و أن نتيقن أن نبينا صلى الله عليه و سلم دعوة إبراهيم عليه السلام بمعنى أن الله بعث نبيه صلى الله عليه و سلم مزكياً معلماً ((هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آَيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ)) سورة الجمعة الآية (٢)، هذا

معرض امتنان، ذاك دعاء، و دعاء إبراهيم قال ((يعلمهم الكتاب والحكمة و يزكيهم)) معرض الامتنان قال ((وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ)) يزكيهم أولا ثم يعلمهم الكتاب و الحكمة ثم قال: ((وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ)) .

ما هو الضلال المبين؟

متى يكون الإنسان في ضلال مبين؟

الضلال المبين تزاوج ، امتزاج، تداخل بين الجهل و الظلم ، التزكية إن فقدت وقع الظلم، و العلم إن فقد وقع الجهل، فقبل أن يُبعث نبينا صلى الله عليه وسلم لهذه الأمة كان الناس في ظلم و كان الناس في جهل .

نرجع لنربط هذه الأصول الكلية بأصل مهم و مهم غاية جداً.

الإنسان لما حمله الله تعالى الأمانة، و ذكر الله تعالى حمل الإنسان الأمانة في قوله في أواخر الأحزاب ((إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا، لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا)). سورة الأحزاب الآية (٧٢-٧٣).

لماذا حمل الإنسان الأمانة ؟

كيف ردت السماوات و الأرض والجبال الأمانة و هما مخلوقات لله والله عز وجل قص لنا أخبار السماوات و الأرض، فقال : ((ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ)) سورة فصلت الآية (١١).

فلما عرض عليهم عرضاً ليس عرض تكليف، عرض تشريف، فقالوا لا نقدر على حمل الأمانة.

من الذي حملها؟

الإنسان.

بماذا نعت الله هذا الإنسان لما حمل الأمانة ؟

قال: ((إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا)).

نصيحتي لكل إخواني إذا أردت ان تتحمل أي شيء من الأمانات و كان هذا التحمل طوعي ، كالأمانات بمعنى الأمور التي يستودعها الناس عند بعضهم بعضاً، لا تفحص قدرتك على التحمل ، افحص قدرتك على الأداء، أي طالب علم أي مكلف أي إنسان كلفت بشيء لا تقل أنا مستعد، لا تغتر بقدرتك في تحملك الأمانة على أنك تتحملها، افحص هل تستطيع الأداء أم لا ما تستطيع الأداء ، اعتذر ، كن مثل الأرض و السماوات و الجبال، فالأمور الطوعية.

مشكلة طلبة العلم في هذا الزمان أنهم يتحملون الأمانات ، والنفس البشرية تقدر على التحمل، لكن المقدرة على الأداء قايلة ونادرة للأسف، والسبب إنه كان ظلوماً جهولاً.

إبراهيم قال ((يعلمهم و يزكيهم))، هذا يتناسب مع كون الإنسان جهول ظلوم .

الآية ماذا؟

((إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا)).

الذي يتناسب مع هذه الآية ما امتن الله به على هذه الأمة- يارب لك الحمد- .

و ورد في الآثار و صحت و خرجت هذا في تعليقي على كتاب الموافقات أن موسى كليم الله كان يتمنى لو كان واحدا من أمة محمد صلى الله عليه وسلم، الله استجاب لإبراهيم ، وليس فقط استجاب له ، استجاب دعوته مع زيادة ، و الزيادة أن نبينا صلى الله عليه وسلم بعثه الله تعالى فخلقه وأوجده، الله خلق نبيه و أوجد فيه استعداداً للقيام باستجابة دعوة إبراهيم ، و لكن الله من كرمه و لطفه قدم التزكية على العلم ، لأن الله لما خلق الإنسان قال إنه كان ظلوماً، و بالتزكية يرفع الظلم ، و بالعلم يرفع الجهل .

فقال : ((إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا)) ، الذي يتناسب مع سنة الله في كونه في خلقه لمحمد صلى الله عليه وسلم ، و أوجد فيه هذا الاستعداد، وكل العلماء الكبار الذين نفع الله بهم هذه الأمة ساروا على نهجه ، فالله خلقهم طوالاً و خلقهم كباراً ، و لذا هذا يتناسب مع أن المسائل الكبار لها العلماء الكبار، ما يحيق بهذه الأمة من مؤامرات و من مصائب و ويلات يا طلبة العلم إن أردتم السداد والصواب ألزموا الكبار، لا تنفردوا ، المسائل الكبار لها العلماء الكبار ، فالله جل في علاه في سنته في كونه وفي شرعه خلق هذا الدين و أوجد من يحمله و أوجد من يقوم به ، ومن يؤدي الأمانة في حمل هذا الدين.

((إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا)).

ظلوم جهول الإنسان، رفع الظلم و الجهل عنه ببعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

و المتأمل في فضل هذه الأمة يجد في الصحيحين أحاديث كثيرة أن خير الناس القرن الأول ثم الذي يليه، ثم الذي يليه ، بل قال بعض الرواة كما عند ابن حبان قال شككنا هل عدَّ الثالث أم الرابع، هل الرابع منهم أم لا، خير القرون قرن النبي صلى الله عليه وسلم –خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم– .

أدعوكم للتأمل.

فضل الصحابة، ثم فضل التابعين، ثم فضل تابعيهم، ثم وقع الشك في الرابع .

أولاً هذا الفضل هل هو محصور في هذه القرون فقط؟

لا .

الطائفة المنصورة باقية إلى يوم الدين، لكن الطائفة المنصورة كلما أشتدت الغربة بقيت أفراداً، أما كجيل فتمثلت في الصحابة، ثم فيمن بعدهم، ثم فيمن بعدهم .

ما هو سر أفضلية قرن الصحابة عن باقي القرنون؟

لأنهم هم الذين علمهم النبي صلى الله عليه وسلم وزكاهم، هم التلاميذ.

لذا الذي يطعن في الصحابة يطعن في مهمة النبي صلى الله عليه و سلم، و الذي يطعن في مهمة النبي صلى الله عليه و سلم هو في حقيقة الأمر يطعن في الله عزوجل.

لذا علماءنا –علماء التوحيد– يقولون من يطعن في جميع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كافر، لأن لازم هذا الطعن في جميع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عدم صول القرآن لنا .

القرآن كيف وصلنا؟

عن طريق الصحابة.

فضيلة التابعين من أين جاءت؟

هل الصحابة قاموا بمهمة النبي صلى الله عليه وسلم؟

قام الصحابة بمهمة النبي صلى الله عليه وسلم على وجه التمام و الكمال، و سبب هذا الوجه بالتمام و الكمال أن الخير الذي فيهم لم يقتصر عليهم و إنما ورثوه للجيل الذين من بعدهم.

أنظر معي أبو بكر الصديق، الدنيا قائمة قاعدة ، حروب الردة كثيرة الذين ارتدوا و نكصوا وغيروا و بدلوا كثير ،و شعار أبي بكر أن ينفذ بعث أسامة .

لماذا ينفذ بعث أسامة ؟

لأن النبي صلى الله عليه وسلم وصى به.

فما طرأ من أشياء على العقول تسرق العقول و لها بهرجة هو يعلم علم اليقين أن وصية النبي صلى الله عليه وسلم بها النجاة و بها خير الدنيا و الآخرة ، ما قال الأحداث استجدت و المسائل تغيرت و الأولويات تعددت و انقلبت الموازين و نغير و نبدل ، و أنا أشبه هذا من حيثية واحدة – حيثية الأصل- بنوح مع ولده ، لما قال نوح عليه السلام لولده ((يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا)).

ماذا قال ولده؟

قال : ((قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ)).

شيخ الإسلام ابن تيمية من لطائفه في كتابه (منهاج السنة) يقول في هذه الآيات دلالة على أن النقل مقدم على العقل .

قال كلام ابن نوح عقل : ((قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ))، و كلام نوح ((يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا)) نقل، فلما وقع العراك بين النقل و العقل كانت النصرة لمن ؟

لليقين.

فطالب العلم حتى ينبغ لا بد أن ينشرح صدره، و أن ينزع كل ما يمكن أن يعكر عليه أن اليقين في النصوص، اليقين في القرآن ، اليقين في السنة الصحيحة للنبي صلى الله عليه و سلم، لا بد أن ينشرح صدره تماماً لهذه الحقيقة ، و أن ينشرح صدره كما أنشرح صدر أبي بكر الصديق في نفذ بعث أسامة ، وأن الخير كله والبركة كلها في الوحي، و بهذا أبو بكر رضي الله عنه كان أعلم الصحابة مع أن العلم المنقول عنه قليل، أنظروا في كتب الفقه المطولة المسندة و غير المسندة، أنظروا في المصنف لإبن أبي شيبة و عبد الرزاق و الأوسط لإبن المنذر، و أنظروا في الفقه الموسع المغني والمحلى والمجموع، و ابحثوا عن فقه أبي بكر قليل، و أنظروا في فقه عبد الله بن عباس عبدالله بن عمر كثير .

من الأفقه أبوبكر أو ابن عباس؟

قطعاً أبو بكر.

كيف علمنا أن أبا بكر أفقه الأصحاب ؟

الحياة العامة بنمطها العام في زمنه كان هو نمط الحياة في زمن رسول الله صلى الله عليه و سلم، و الخير الذي كان من قبل النبي صلى الله عليه و سلم وتعدى إلى جيل كامل بقي هذا الخير في أصحاب رسول الله و تعدى إلى الجيل الذي بعده.

فالبركة التي كان عليها التابعون من أين جاءت؟

من أن الله بعث محمداً معلماً مزكياً.

العلم و التزكية هل و صلت للتابعين ؟

نعم .

هل وصلت بواسطة ؟

نعم بواسطة الصحابة .

و البركة و الخير في دعوة النبي صلى الله عليه وسلم في التزكية و العلم ما أقتصرت على التابعين و إنما على تابعيهم أيضاً ، و هذا له أثر ، لذا علماءنا المحدثون لما يبحثون في مبحث المستور من الرواة يقولون : التابعي المستور ليس كمن هو درجته مستور من المتأخرين ، و لذا الذي درج عليه من أمثال ابن رجب و ابن كثير و جمع ، تمشيت المستور من كبار التابعين ما لم يروي شيئا فيه نكرة، يحسنون الحديث، و أشار إلى هذا شيخنا الألباني رحمه الله في أكثر من موطن من سلسلته الصحيحة، و لا سيما في المجلد الأول و الثاني.

العبرة بماذا؟

العبرة بالديانة و العلم ، و أن تكون على تزكية و علم ، و التزكية و العلم هما عمودان للعدالة، العدالة العلم -عدم الغفلة-، و التزكية صاحب ديانة، و هذا داخل تحت قول الله عزوجل : ((وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ)) سورة القصص الآية (٦٨)، الخيرة لله ، فربك الذي يخلق، و ربك الذي يختار، و الخيرة له فقط سبحانه ، لذا النبوة ليست مكتسبة ، هبة من الله ، لكن النبوة لا تكون في دعي ، و لا تكون فيمن لم يكن معدنه أحسن المعادن، الله اختار محمد صلى الله عليه و سلم و اختار و الخيرة له و ليست الخيرة لأحد ، و مشكلة العرب كما في سورة الأنعام، مشكلة الرسالة في آيات كثيرة في سورة الأنعام، المشكلة مع النبي صلى الله عليه و سلم في الاختيار، الاختيار ليس لكم .

قال كنا مع بني عبد المطلب كفرسي رهان، مرة نسبقهم ومرة يسبقونا، قال فلما كدنا أن نقاربهم قالوا منا نبي ، ومن أين لنا نبي نحن؟

مالنا إلا الكُفر و العياذ بالله تعالى.

الله امتنن على هذه الأمة فاستجاب دعوة نبينا إبراهيم، و زاد عليها كرماً و منةً وفضلاً منه بقوله بأنه قدم التزكية على العلم، لأن الله في سنته في كونه لما خلق الناس قال عنهم إنهم كانوا ظلومين جهولين.

ما هو المطلوب؟

المطلوب من كل مسلم يقول لا إله إلا الله أن يكون في نصيب واجب عيني على كل أحد من الفقه، من غير ممكن أن يكون مسلم جاهل جهلاً يستغرق كل شيء عنده.

ممكن ما يقرأ ؟

ممكن .

ممكن ما يكتب ؟

ممكن.

لكن يكون جاهل يستحيل .

لذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في ما صح عنه: ((خصلتان لا تجتمعان في منافق حسن سمت و فقه في الدين)) .

من أين مأخوذ حسن سمت؟

من يزكيهم.

من أين مأخوذ فقه في الدين؟

من يعلمهم.

((يزكيهم و يعلمهم)).

هل ممكن يكون منافق وعنده حسن سمت؟

يمكن.

هل ممكن يكون منافق عنده فقه في الدين؟

ممكن.

لكن أن تجتمع الخصلتان حسن السمت مع الفقه في الدين يستحيل .

لماذا؟

لأنه أخذ شيئاً من الوراثة التي بعث الله عز وجل نبيه محمداً صلى الله عليه و سلم بها .

فالواجب وجوب عيني على كل فرد مسلم أن ينجو من النفاق، و نجاته من النفاق أن يكون حسن سمت.

حسن السمت كما يقول النبي صلى الله عليه و سلم خمس و عشرون من خصال النبوة – و أنا أتمنى لو أفهم هذا الحديث، أنا لا أعرف لماذا قال النبي خمس و عشرون، أنا لا أعرف لماذا قال النبي صلى الله عليه وسلم أن حسن السمت يعني خمس و عشرون من النبوة، هذا يحتاج إلى تأمل وتدبر.

لكن الذي أريد أن أقرره أنه يجب على هذه الأمة أن يكون فيها علماء، و العالم هو الإمام.

إمام المسلمين من هم؟

من ولي أمرك ؟

من يصلح دينك و من يصلح دنياك، الذي يصلح دينك العلماء ، و الذي يصلح دنياك الحكام و الأمراء ، و هذا اختيار الإمام البخاري في صحيحه و فصله تفصيل بديع أئمة الهدى ، و ابن القيم أفاض فيه في كتابه إعلام الموقعين.

ولي أمرك العالم و الحاكم، العالم لإصلاح الدين، و الحاكم لإصلاح الدنيا، الواجب على هذه الأمة وجوب كفائي أن يكون فيها علماء ، و هؤلاء العلماء أخذوا أغلى و أعلى ما بُعث به النبي صلى الله عليه وسلم من التزكية و العلم، أغلى ما بعث به النبي صلى الله عليه و سلم من التزكية الصبر ، و أعلى و أغلى ما بعث به النبي صلى الله عليه وسلم من العلم اليقين ، و لذا قال الله تعالى: ((وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآَيَاتِنَا يُوقِنُونَ)). سورة السجدة الآية (٢٤).

متى يكون الإنسان إمام في الدين ؟

((لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآَيَاتِنَا يُوقِنُونَ)).

و لذا شيخ الإسلام ابن تيمية كان يقول رحمه الله بالصبر و اليقن تنال الإمامة في الدين.

من الإمام في الدين؟

صاحب الصبر ، و الصبر مراتب ، أعلاها و أغلاها و أحبها إلى الله الصبر على فعل الطاعات ، ثم الصبر على ترك الشهوات المحرمات ، ثم الصبر على الألاقي و على قدر الله عزوجل.

لماذا صاحب الصبر و صاحب اليقين ينال الإمامة في الدين؟

لأنه امتثل مهمة النبي صلى الله عليه وسلم.

بما بعث النبي صلى الله عليه و سلم؟

بعث ليزكي و يعلم ، فبالصبر نال أعلى مايمكن من التزكية ، و باليقين نال أعلى درجة من درجات العلم و هو اليقين.

هذه الأمة تبقى قائمة مهما ساء حالها ما دام أن أفرادها ممتثلون لخصلتان لا تجتمعان في منافق حسن سمت و فقه في الدين.

حسن سمت: تعيش مع مسلم صادق صالح قلبه متجه إلى الآخرة تجد عنده سمة لا تجدها عند غيره، لو أردنا أن نشبه هذا ، لو كنت في مكة، أو واحد كان في المنتديات العامة مثل مباريات كأس العالم الذي يأتيه الناس من كل مكان ، تنظر تجد في السنح تقول هذا ياباني ، وهذا صيني ، و هذا أوروبي ، و إذا كنت عشت في أوروبا تميز البريطاني عن الألماني إلى آخره، فتميز الناس بسنحهم ، و لكنَّك إن كنت صاحب بصيرة و صاحب فهم عن الله ، فإنك بفراستك تستطيع أن تعرف صاحب السمت و تميزه عن غيره ، من توجه إلى الله فحفظ كلامه أو شيئا من كلامه وعمر قلبه بمناجاته و تحميده و تسبيحه و تهليله و تعظيمه فإنه صاحب سمت لا يخفى على صاحب بصيرة، فالمؤمن حتى ينجو من النفاق لا بد أن ينال شيئاً مما بعث به النبي صلى الله عليه و سلم ، صاحب سمت و فقه في الدين ، لكن هذا لا يكفي، لا بد أن يكون في الأمة من نال الأعلى و الأغلى و هو الصبر و اليقين و هم العلماء و هم أئمة الدين ، و بهذا الأمة تستطيع أن تتوصل إلى سبيل صعودها و سعادتها، تصعد لتسعد، تصعد تكون شامة بين الأمم.

تأمل معي :

مثلاً أهل النار ، و حقيقة تأملت و ربطت بين الآيات و رأيتها كلها توصل إلى يقين لأنها في معنى واحد .

تأمل أهل النار لما يدخلون النار ماذا يقولون ؟

تأمل معي.

قال تعالى: ((وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ)) سورة الملك الآية (١٠).

التزكية تحتاج لسماع، أحسن وسيلة من وسائل العلم أن تجثوَ على الركب بين يدي العلماء، لذا الإمام أبو حيان في البحر المحيط في تفسير التوبة عند قول الله عز وجل: ((الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ)) سورة التوبة الآية (٩٧).

يا لله!

هل يوجد بعض الناس الأجدر بهم أن لا يتعلموا؟

نعم.

من هؤلاء ؟

المنافقون.

أبو حيان له مبحث نفيس و أدعوا لقراءته.

يقول الأعراب المعنيون في هذه الآية ((الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ)) من هم؟

قال الأعرابي الذي لم يسسه سائس – أي شيء عنَّ في رأسه ركبه–، و لم يجثوا على الركب بين يدي العلماء.

أهل النار لما يقذفون في النار قالوا: نسمع أو نعقل ، نسمع ليستجيبوا، السماع مع الاستجابة، لو سمعنا ففهمنا مراد الله عزوجل فاستجبنا فزكينا أنفسنا وعقلنا، تفقهنا و تعلمنا فنلنا من السماع و العقل نصيب من التزكية و العلم.

هل القراءة و السماع للمحاضرات عبر وسائل التواصل الأجتماعي مشروع؟

يقيناً مشروع، ما أحد يقول ممنوع.

لكن البركة و الثمرة و الخير و الفضل الذي كان عند الأقدمين و بقي موصولاً إلى يوم الدين و سيبقى موصولاً إلى يوم الدين إنما هو في ما كان عليه السابقون من الجثو على الركب بين يدي العلماء والمشايخ .

النبي صلى الله عليه و سلم يقول في الحديث : (طلب العلم فريضة على كل مسلم) طلب العلم فريضة ، مبتدأ و مضاف ومضاف إليه ، و فريضة خبر للمبتدأ ، و قال علماء اللغة الجملة الإسمية فيها ثبات و فيها شيء من حصر، فأي طريقة من الطرق تطلب فيها العلم قديماً عبر المسجل و قبلها عبر الأسطوانات و اليوم عبر الصوت و الصورة و عبر وسائل التواصل إن صدقت الله تعالى و أخلصت في نيتك لله عز وجل و ألقيت سمعك لتزكي نفسك وتعقل و تتعلم لتعمل و تتقي الله في علمك و أن يكون هذا العلم حجة لك لا حجة عليك فأنت إن شاء الله تعالى طالب علم أديت الفريضة، لكن الأنجع و الأنفع والطريق المسلوك الذي سلكه أئمتنا الكبار من الصحابة فمن بعدهم إلى يوم الدين إنما هو طريق التزكية و العلم ، و الطلب على أن يجثو الإنسان على ركبتيه بين يدي العلماء .

و لذا إخواني من طلب العلم فالواجب عليه كبير، على حد قول الشاعر:

قد رشحوك لإمرٍ إن فطنتَ لهُ   فإربأ بنفسكَ أن ترعى مع الهملِ

كل ما ازداد الإنسان في الطلب ازداد الواجب عليه ، و الواجب عليه أن يصرف وقته على ما يعود على أمته بنفع ، و أن لا ينشغل بتحقيق الأمجاد و المسائل الطبولية.

ما هي المسائل الطبولية ؟

مثل الطبل.

ما هو الطبل ؟

جعجعة بلا طحن ، صوت دون حقيقة.

فعلماءنا حذروا من المسائل الطبولية .

و المسائل الطبولية ما أكثرها هذه الأيام في ظل انتشار وسائل التواصل الأجتماعي.

كثيرا ما تأتيني أسئلة أرى أن الجواب عليها لا ينفع ، بمعنى لا ينفعني أنا و لا ينفع المجيب .

و لذا طالب العلم ينبغي أن يكون فطناً، ينبغي أن يعرف كيف يصرف وقته و أن يكون قبل ذكائه و فطنته أن يكون موفقاً، و أن يسأل الله جل في علاه أن يسدده و أن يشغله بما يعود عليه و على الإسلام و المسلمين بنفع و خير، المتقي لا ينشغل بكل شيء، كثير من المسائل الطبولية ما ينبغي أن يكون لها أصول بيننا، و الناس مشغولون بها و أغلبها في المسائل سياسية و المسائل التي تحرك الناس ، و الناس تكلمت في أحداث السياسة سنوات طوال وأخطاءهم أكثر من صوابهم لكنهم لا يعقلون .

((لو كنا نسمع أو نعقل)) .

ما في عقل ، هذا إدمان مثل الشهوة .

و لذا طالب العلم ينبغي أن يعلق قلبه بالله و باليوم الآخر، فما عاد عليه و على غيره بنفع امتثل و بادر و نشط و لا يكسل، و إلا فعلى أقل ما يمكن أن يعتزل، أن يبتعد، أن لاينشغل في مسائل طبولية، و هذه المسائل إما أنها مهمة لكن هو ليس من أهلها، فالمسائل الكبار ليس لها إلا العلماء الكبار، و حتى العلماء الكبار يقدرون هذه المسائل أحسن من تقدير طالب العلم الصغير، الكبير يحسن متى يتكلم و متى يسكت، و ليس مطلوب منك في كل نازلة و في كل مسألة أن يكون لك رأي ، عند الله عزوجل و عند عباد الله الصالحين، ليس كل مسألة تنزل في الأمة ينبغي أن تلم بها، و ينبغي أن تنشغل بها .

فهذه نصائح أرجوا الله تعالى أن ينفع بها و أن يجعلني و إياكم من المباركين المتقبلين و أن ينفع بنا الإسلام و المسلمين.

و آخر دعوانا أن الحمدلله رب العالمين .

و صلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.